رأي ...

نحو تفصيح العامية في الوطن العربي

الأستاذ عمر الطاهر
(دمشق)

نشرت جريدة « الثورة » (دمشق) في عددها الصادر بتاريخ 8 / 9 / 1972 ، تعليقا للاستاذ عمر الطاهر على كتاب : « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي » جاء فيه :

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكراس رقم 16 من السلسلة التي اخذ في اصدارها منذ سنوات وقد خصص هذا الكراس لبحث قام به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول العاميات العربية وجذورها المشتركة ، وللاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اعمال جيدة في هذا المجال لا زال يواصلها منذ سنوات طويلة فقد الف كتابا بعنوان (الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية) ودراسات مقارنة حول عاميات اقطار عربية عديدة وخاصة سورية ولبنان ومصر والكويت والخليج العربي والمغرب .

يقول الاستاذ بنعبد الله في مقدمة بحثه المشار اليه سالفا انها محاولة اولى نرجو ان نكون قد اسهمنا بها في اقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات في الوطن العربي اعتبارا لاصولها الفصحى وما نراه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث في الوطن العربي موحدة اقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

صراع بين العامية والفصحى بالمغرب :

تحت هذا العنوان يورد الكاتب بحثا يقول فيه ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم .. وتمتاز بمظاهر البساطة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايغالا في القلب والتسهيل وهذه الظواهر لا تنفرد بها عامية اي قطر عن اخرى .

وبعد ان يعرض الباحث بعض الامثلة لاثبات ما ذهب اليه ينتقل الى القول بانه يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العامية العربية وتوحيدها ويذكر بما كان عليه الحال قبل الاسلام من طغيان لهجة قريش على بقية اللهجات العربية وصياغتها في اطار واحد هو الفصحى التي نعرفها اليوم .

وفي اطار الاصول المشتركة للعامية العربية يذكر الباحث ان التاثير بين العاميات العربية كان متبادلا ، فالفنيقيون العرب نقلوا الكثير من كلماتهم الى شمال افريقيا الذي يتكلم اهله قديما لغة البربر ، واذا عرفنا ان هذه اللغة هي الاخرى عربية اي ان البربر شعب هاجر من الجزيرة في احقاب موغلة في القدم ادركنا ان اصول العاميات تعود الى اقدم العصور فالفينيقيون الذين اثروا في العاميات العربية وشعوب الشرق القديم كان لهم ابلغ الاثر في لهجات الجناح

الغربي من الوطن العربي ، ان الاصول المشتركة للعاميات العربية لا تعود فقط الى هذه الاصول ، انها استمرت عبر التاريخ تتغذى من مصادر متشابهة أو تنقل الاثر الى بعضها ، ويشهد على ذلك وجود كلمات فارسية فى العامية المغربية تسربت اليها عبر الاحتكاك بعامية الاندلس التي نقلتها من عاميات الشام والخليج ان هذه الاصول المشتركة وهذا التلاقح الدائم بين العاميات العربية الذي تجلى مرة أخرى فى الكلمات التي أدخلت الى لغتنا من الفرنسية والاسبانية والتركية والانكليزية يحتم ضرورة السعي الى تنقية هذه العاميات بغية الوصول الى عامية صافية تكون اقرب شيء الى الفصحى وفى نفس الحين لغة المخاطبة اليومية وهذا العمل هو السبيل الوحيد للرد على دعاوي الاقليمية اللغوية بعد ان ثبت لدينا ان الاصول المشتركة لهذه العاميات أقوى من كل مظاهر الاختلال.

ويسند الباحث رؤيته للامور بمجموعة كبيرة من الكلمات التي تثبت هذه الاصول المشتركة ويقوم بتحليل تاريخي لظهور العامية فى الوطن العربي ويخلص الى دعوته السالفة بضرورة تنقية هذه العاميات سعيا للوصول الى اللغة العربية الواحدة على مستوى المخاطبة ولا يسع القارىء رغم تسليمه بالكثير مما ذهب اليه الباحث لا يسعه الا ان يسأل لما ذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع الى مناقشة القضايا من خلال انعكاس الواقع السياسي عليها فتراه يضع عامية مغربية واخرى سورية وثالثة لبنانية .. والواقع انه ليس هناك شيء يمكن ان يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة فى انحاء شتى من الوطن العربي يزداد التشابه بينها ويقل تبعا للموقع الجغرافي رغم الاصول المشتركة وهي لا تتبع فى توزيعها بحال من الاحوال التقسيم السياسي أو الحالي منه على الاقل واذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي الجأت الباحث الى هذا الاسلوب فهو امر مقبول ، اما اذا كان الاقرار بالاقليمية وراء ذلك فان المنطلق الجيد عنده يفدو منطويا على ضده انها دعوة جديدة فى سبيل مراجعة تراثنا اللغوي لا يسعنا رغم كل شيء الا التحمس لها ، فمن خلال البحث وحده نستطيع ان نتبين الغث من السمين وهي خطوة متقدمة فى سبيل صقل اهم مقومات شخصيتنا وان كانت بعض المفاهيم المغلوطة تخالطها ولكن للكاتب عذره رغم ذلك .